التوحيد

الحمد لله الذي خلق كل شيء وإليه ترجعون ، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ، وله الحمد في السموات والأرض وعشياً وحين تظهرون، يخرج الحيّ من الميت ، ويخرج الميت من الحيّ ، ويحي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، سيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وإمام المتقين ، وقائد الغرّ الميامين ، فصلى الله وسلم عليه ، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً ...

أما بعد أيها المسلمون:

إن الله سبحانه وتعالى ، ما أرسل الرسل ولا أنزل الكتب ، إلّا ليعبد وحده لا شريك له ، ويفرد بجميع أنواع العبادة ، من خوف ، ورجاء ، وتوكل ، ورغبة ورهبة ، وخشية وإنابة ، ونحو ذلك من أنواع العبادات التي أمر بها سبحانه ، حيث قال تعالى :﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ (الذاريات:٥٦) ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ (البينة:٥) ، ومن ثَمَّ كان أول أمر في كتاب الله تعالى، فيه دعوة إلى التوحيد ، قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ﴾(البقرة:٢١) .

وقد أُمِرَ النبيﷺ أن يقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلّا الله وأن

محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وغيرها من أنواع العبادات ، وفي صحيح مسلم عن عمرو بن عبسة السلمي قال: قدمت إلى مكة ، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً من قومه ، فدخلت عليه فقلت له: (ما أنت؟ قال: أنا نبي ، فقلت: وما نبي ؟ قال: أرسلني الله ، قلت: وبأي شيء أرسلك ؟ قال : أرسلني بصلة الأرحام ، وكسر الأوثان ، وأن يعبد الله وحده لا شريك له) وجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، من أولهم نوح عليه السلام إلى آخرهم محمد ﷺ يفتتحون دعوتهم إلى أقوامهم بالتوحيد ، قال تعالى عن نوح عليه السلام : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ (الأعراف:٥٩) ، وقال تعالى عن هود عليه السلام : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ (الأعراف:٦٥)، وقال تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ (الأعراف:٨٥)، وقال تعالى : ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ ﴾

(مريم : ٤١ - ٤٥) .

ثم جاءت بعثة رسولنا -عليه الصلاة والسلام- ترسيخاً لمبدأ التوحيد، ولذلك كانت وصيته لمبعوثه وسفيره لدى اليمن ، معاذ بن جبل رضي الله عنه ، هي الدعوة إلى التوحيد ، فأوصاه بقوله : (يا معاذ ، إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه ، شهادة أن لا إله إلّا الله) وفي رواية (إلى أن يوحدوا الله) فإن هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم كذا وكذا ....

أقسام التوحيد:

إذًا قضية التوحيد هي أعظم قضية واجهها الرسل مع أقوامهم، ولذلك كانت دعوتهم تسمى دعوة التوحيد، وعلى هذا الأساس، قُسِمَ التوحيد إلى ثلاثة أقسام:

الأول: توحيد الربوبية:

وهو الذي أقرّ به الكفار في زمن الجاهلية، وشهد عليهم القرآن بهذا الإقرار، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ (يونس: ٣١)، ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ (العنكبوت: ٦١)، حتى الدهريون الذين قالوا: ﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ ﴾ (الجاثية: ٢٤) لا نستطيع أن نجزم من لفظ الآية أنهم ينكرون وجود الله، لأنهم نسبوا الإهلاك للدهر، وليس معنى ذلك حتماً أنهم ينكرون وجود الله، وهم بذلك لا يختلفون عن مشركي الجاهلية المعاصرة، فكثيراً من العلمانيين والحاقدين على الإسلام اليوم، لا ينكرون توحيد الربوبية، ولا ينفون وجود الله، بل يؤمنون به نظرياً، ويمارسون بعض الشعائر التعبدية، تمويهاً وتضليلاً على كثير من عوام المسلمين، وليس من الغريب أن تجد في كلمات أو كتابات بعض العلمانيين المعروفين بعلمانيتهم، ذكر الله، أو ذكر رسوله ﷺ أو ذكر الإسلام، فهم جميعاً يؤمنون بوجود الله، لكنهم يرفضون أن يطبقوا شرع الله، وأن يحكموا أو يتحاكموا إلى ما أنزل الله، ويعملون على نشر الفاحشة والرذيلة والإباحية بين المسلمين، عن طريق القوانين التي تبيح الرذيلة، ولا تعاقب عليها،

OBEIKAN.COM

وتعتبر الزنا ممارسة شخصية ، يجب أن تكون مكفولة ومُصَانَة .

إذًا كل شيء في هذا الكون العظيم ، يؤمن بتوحيد الربوبية حقيقة ، أو مجازاً ، ويشهد أن الله رب العالمين وخالقه ، ومعلوم قطعاً أن الخصومة بين الرسل وأقوامهم ، لم تكن في توحيد الربوبية ، إنما كانت في توحيد الألوهية ، الذى هو النوع الثاني من أنواع التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة، كالصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها.

نواقض لا إله إلّا الله:

لقد كان اهتمام القرآن الكريم بقضية التوحيد،في العهدين:المكي والمدني، يدل دلالة واضحة على أهمية التوحيد ، صحيح أن الآيات المكية كانت تخاطب المشركين وتبين لهم معنى لا إله إلّا الله ، إلّا أن استمرار الحديث في الآيات المدنية على هذه القضية ، يؤكد على أهمية تفهمها وإدراكها بشكل واضح لتحقيق العبودية لله رب العالمين، إذًا لا ندرى كيف كانت لا إله إلّا الله ، معروضة في كتب المرسلين السابقة ، ولا ندرى لماذا يتحدث الناس اليوم عن نواقض الوضوء، ولا يتحدثون عن نواقض لا إله إلّا الله، وهناك من العلماء ، كأمثال ابن تيمية و ابن القيم رحمهما الله، تحدثوا كثيراً في نواقض لا إله إلّا الله ، رغم أن هذه المشكلة كانت في عصرهم نادرة الوقوع، وكذلك لا ندرى كيف يتاح الحديث لجميع الفئات ، وجميع الهيئات والدعوات ، إلّا الفئة التي تدعوا للا إله إلّا الله ، فإنه يوقف لها بالمرصاد، وما حدث ويحدث في كثير من بلاد المسلمين ، إلّا نموذجاً لما نقول، حيث شارك الإسلاميون في بعض البلدان الإسلامية، والتزموا بقواعد الجاهلية ومنهجها ، بغض النظر عن خطأ ذلك أو صوابه،

وحازوا على الأغلبية العددية ، ولكن مع ذلك قوبلوا بالرفض ، وقوبلوا بالعنف ، وقيل لهم: لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن ، وفي الجاهليات الحديثة التي تشرك مع الله آلهة أخرى ، وتجسد الإله في صورة محسوسة ملموسة ، نرى كثيراً من الناس يكرهون الحديث عن نواقض لا إله إلّا الله ، فالذين يكرهون الحديث عن نواقض لا إله إلّا الله ، ليسوا فريقاً واحداً من المسلمين ، بل مئات الألوف من المتمسلمين الذين يحسبون على الإسلام ، والإسلام منهم براء ، ومن أبرز العوامل التى عملت على تهميش لا إله إلّا الله من مقتضياتها ، الفكر الإرجائي الذى يقول : من قال لا إله إلّا الله ، فهو مؤمن ولو لم يعمل عملاً واحداً في الإسلام ، ومنهم من يعتبر من قال: لا إله إلّا الله بلسانه ، يدخله ذلك في دائرة الإسلام ولو لم يعمل بها ، أو ناقضها بأقواله وأفعاله في اليوم مائة مرة ، لقد كان الفكر الإرجائي يوهم العصاة والمنحرفين والغافلين ، أنهم على خير كثير، وأنه لا خطر عليهم ما داموا ينطقون بلا إله إلّا الله ، ويؤمنون بأن الله واحد صمد ، ثم جاء الفكر الصوفي الذى حول الإسلام إلى سبحات روحانية ، وأذكار ، وأوراد، وهيام وخيال ، بالليل والنهار ، وحَرَفَ الناس عن مقتضيات لا إله إلّا الله ، وتحول التوكل إلى تواكل سلبي ، دون الأخذ بالأسباب ، وتحولت عقيدة القضاء والقدر ، إلى تخاذل وتقاعس ، بعد أن كانت عقيدة ثبات وإقدام ، ثم بعد ذلك جاء الاستبداد السياسي ليزيد الطين بلّة ، ويقتطع جزءً من مقتضيات لا إله إلّا الله ، وأخيراً جاء الغزو الفكريَ الذى أصاب الأمة في عقيدتها ودينها ،ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

ممارسة لا إله إلّا الله عملياً:

وعليه يمكن أن نقول: إن كلمة التوحيد، لا إله إلّا الله، ليست مجرد كلمة تقال، إنما هي حقيقة ذات تكاليف، وأمانة ذات أعباء، ولا يكفي أن يقول الناس: لا إله إلّا الله، وهم لا يفتنون، إن هذه الكلمة في الرسالة المحمدّية، قد حملت من التكاليف ما لم تحمله رسالة سابقة، ولذلك كان ﷺ يعمّق لا إله إلّا الله في قلوب أتباعه، ويعلمهم كيف يتعاملون معها، فإذا أصبحوا قالوا: (اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور) وإذا جاء المساء قالوا: (اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير) ،وإذا أصابهم همٌّ أو حزن، علّمهم رسول الله ﷺ أن يقولوا: (اللهم إني عبدك، وابن عبدك، و ابن أمتك، ناصيتي بيدك، ماض فيّ حكمك، عدل فيّ قضاؤك، أسألك بكل اسم هو لك، سمّيت به نفسك أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبي، ونور صدري، وجلاء حزني، وذهاب همّي وغمّي) وهكذا: بهذه الوسائل، غرس ﷺ لا إله إلّا الله، في قلوب أتباعه.

التعريف بلا إله إلّا الله:

إذًا يجب التعريف أولاً بلا إله إلّا الله، ومعرفة حقوقها وأركانها وشروطها، لأنها كلمة التوحيد التي قال عنها الصادق الأمين ﷺ:(أفضل ما قلت أنا والنبيون قبلي، لا إله إلّا الله وحده لا شريك له).

ولقد كان اهتمام القرآن الكريم، بالحديث عن هذه الكلمة في كثير من الآيات، منها قوله تعالى﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢ ﴾ (آل عمران:٢)،

وقوله سبحانه: ﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الأنعام:١٠٢) وقد شهد الله لنفسه بهذه الكلمة، وشهدت له ملائكته وأولو العلم من خلقه، كما قال تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾(آل عمران: ١٨) وعليه نلاحظ أن هذه الكلمة، دستور شامل، قامت عليه أمم كثيرة في الأرض، منها الأمة اليهودية، التي انحرفت انحرافاً شديداً، عن مقتضيات لا إله إلّا الله، فخيّل لها الشيطان، أنها شعب الله المختار، وحوّلت رسالتها لتكون أمة عرقية يهودية، ثم جاء عيسى عليه السلام، ليطهر هذه الأمة، ولتكون أمة ربانية، لكن ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ ﴾ لم يستقيموا طويلاً على منهج لا إله إلّا الله، وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، أمّا في رسالة نبينا ﷺ، فقد اتسعت مقتضيات لا إله إلّا الله، لتستوعب كل مجالات الحياة، ولتقوم عليها خير أمة أخرجت للناس، وبهذه الكلمة نحقق الوجود الذى نرجوه لأمة الإسلام، ونحقق الوسطية التي قال الله عنها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ البقرة(١٤٣).

مفهوم لا إله إلّا الله:

هكذا كانت نقطة البداية، ولكن المسلمون اليوم،انحسروا بلا إله إلّا الله انحساراً شديداً، حتى صارت حقيقتها مجهولة في غربة الإسلام الثانية، وصدق رسول الله ﷺ عندما قال: (لتنقضي عرى الإسلام، عروة، عروة، كلّما انقضت عروة، تمسك الناس بالتي بعدها، فأولهنّ نقضاً: الحكم، وآخرهن نقضاً: الصلاة) رواه أحمد، إذًا يجب على المسلمين أن يعلموا أنّ: لا إله إلّا الله، لم تنزل لتكون عقيدة فحسب، ولم تنزل لكي تقرأ عند الأموات والأحياء،

ولم تنزل لتكون مجرد كلمة تقال ، إنما أنزلت لتكون واقعاً معاشًا ، ولتسود في الأرض أمة لا إله إلّا الله ، وليس من العسير أن نجعل الناس ينطقون بلا إله إلّا الله ، فهم ينطقونها صباح مساء ، ولكن المشكلة في الناس ، أنهم يظنون بمجرد قولهم: لا إله إلّا الله ، صاروا مسلمين ، ولصقت بهم صفة الإسلام ، أيًّا كان إسلامهم وسلوكهم ، ومخالفتهم لأمر الله ، وإذا درسنا أحوال الأمة الإسلامية كما ينبغي ، فسنجد أن كل مفاهيم الإسلام قد أصابها الخلل والانحراف ، أولها: مفهوم لا إله إلّا الله ، بالإضافة إلى مفهوم العبادة ، ومفهوم القضاء والقدر ، ومفهوم التربية وغيرها ، فإذا كان الأمر كذلك ، يجب أولاً ، أن نصحح مفهوم لا إله إلّا الله ، لقد أصاب هذا المفهوم انحسارًا شديدًا لدى كثير من الناس ، حتى أصبحت لا إله إلّا الله ، مجرد كلمة تقال ، لا تأثير لها في واقع الحياة ، والله سبحانه وتعالى لم يأذن بقتال الكافرين ، إلّا بعد تحرير مفهوم لا إله إلّا الله ، ومن المعبود ، ومن يملك حق التشريع في الأرض ، والآن فلننظر ، هل تم تحرير قضية لا إله إلّا الله ؟ وهل وضح السبيل عند المسلمين ، أن التشريع بغير ما أنزل الله ، شرك مخرج من الإيمان ، ولكن مع الأسف ، فقد فسدت المفاهيم كلها ، حتى مفهوم لا إله إلّا الله ، ولم يَبْقَ منه إلّا هذه الكلمة المنطوقة باللسان ، إلى جانب بعض الشعائر التعبدية عند بعض الناس ، يؤدونها تقليداً لا واجباً.

الثبات على مفهوم لا إله إلّا الله :

إذًا قضية لا إله إلّا الله ، قضية حساسة ، لها أهدافها وشروطها وأركانها، ولولا هذه الكلمة ، لما شرع الجهاد في سبيل الله ، ولما تعرض المسلمون اليوم في مشارق الأرض ومغاربها إلى الأذى والتنكيل ، رغم أنهم لا يعرفون

من الإسلام إلّا هذه الكلمة ، دون معرفة معناها وشروطها وأركانها ، ولولا هذه الكلمة ، لما قتل من قتل من الصحابة الكرام ، ولما أخرجوا من ديارهم وأوطانهم ، ولذلك سأل رجل رسول الله ﷺ فقال: إلى أي شئ تدعو الناس؟ قال : (أدعوهم للا إله إلّا الله) قال: هذا أمر لا تتركه لك العرب ، لقد كان أمام الرسول ﷺ في مكة قضايا كثيرة ، يمكن أن يستثمرها للإستكثار من الجماهير ، كان الفرس يحتلون جزءً من الجزيرة العربية ، والروم كذلك يحتلون الجزء الآخر ، وكان بإمكانه عليه الصلاة والسلام أن يستثير حميّة العرب القومية ، لتلتف حوله الجماهير ، حتى إذا اجتمعوا وآمنوا بزعامته ، قال لهم: قولوا لا إله إلّا الله ، وكانت هناك قضية إجتماعية ، فالأغنياء يستأثرون بالمال على الفقراء ، وكان بإمكانه عليه الصلاة والسلام أن يوظف هذه القضية الاقتصادية لصالحه ، ويقف مع الفقراء ، وينادي بحقوقهم ، فتلتف حوله جموع الفقراء المسحوقين، ليواجه بها زعماء قريش الأثرياء،وفي أثناء ذلك يعرض عليهم:لا إله إلّا الله، وكان يملك غير ذلك من الخيارات المطروحة أمامه في تجميع الجماهير، وإثارة حماستهم واستمالتهم ، ولكن رسول الله ﷺ لم يستغل أية قضية من هذا النوع ، وإنما أثار قضية واحدة ، هي: لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله ، هذه القضية التي جلبت له العداء ، من قبل السادة والعامة، وظل مصراً عليها وحدها ، حتى أذن الله لها أن تلامس قلوباً مفعمة بالإيمان ، ومتعلّقة بالواحد الديان ، لقد كان ﷺ يمكنه أن يبدأ بالمشكلات الداخلية أو الخارجية ، أو يبدأ بالمشكلات الأخلاقية والاجتماعية ، لكنه لم يهادن على حساب الدين ، ولم يخش من ردود الأفعال المتشنجة ، لأنه لم يكن زعيماً ثورياً ، ولا قائداً عنصرياً ، يعمل لحسابه الخاص ، بل كان نبياً

مرسلاً، وكان أول ما دعاهم إليه كلمة التوحيد ، لا إله إلّا الله ، ودعاهم إلى عبادة إله واحد ، هو الله رب العالمين ، فقالوا تعجباً : ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ (ص:٥) ، ولم يكن ذلك الصراع الدائر بين قريش والذين آمنوا ، على سيادة أرضية ، أو على السلطة السياسية ، فقد عرضوا عليه المال والجاه والسلطان ، فأباها ، عندما جاء إليه أبو الوليد (عتبة بن ربيعة) وقال: إن أردت الملك ملكناك علينا ، وإن أردت المال أعطيناك من أموالنا ما تشاء ، وإن أردت النساء زوجناك ، لكنه رفض ذلك وأباه ، إذًا لم يكن الصراع على شرف القبيلة ، أو سدانة البيت ، أو خدمة الحجيج، أو على القوة الاقتصادية التي كانت تملكها قريش ، وإنما كان الصراع كله ، على قضية كبرى في حياة الإنسان ، وهي قضية: لا إله إلّا الله ، ومن المَعْبُودُ في الأرض.

إنكار توحيد الألوهية:

ومعلوم قطعاً أن الخصومة بين الرسل وأقوامهم ، لم تكن في توحيد الربوبية ، إنما كانت في توحيد الألوهية ، الذي هو النوع الثاني من أنواع التوحيد ، وهو إفراد الله بالعبادة ، كالصلاة والصيام والزكاة وغيرها ، فقد كان المشركون يؤمنون بوجود الله، وأنه يستحق العبادة ، ولكن مع غيره، ويرفضون الوحدانية لله ، ويشركون مع الله آلهة أخرى ، ويقولون ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ (الزمر:٣) وكانوا يعجبون من فكرة الإله الواحد ، ويتساءلون ﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥ ﴾ (ص:٥) ، وهذا الإنكار لتوحيد الألوهية ، هو الذي جعلهم يتخذون أكثر من ثلاثمائة وستون صنماً حول الكعبة ، ويعبدونها من دون الله ، كما قال تعالى : ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾

(التوبة : ٣١)، وقد أُمروا أن يعبدوا إلهاً واحداً ﴿ قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾(الزمر : ١١ - ١٥).

وحتى الآن ما يزال كثير من الناس اليوم ، يكفرون بتوحيد الألوهية ، ويعبدون آلهة شتى ، منهم العلمانيون المعاصرون الذين لا يختلفون كثيراً عن المشركين في الجاهلية الأولى ، فهم جميعاً يؤمنون بتوحيد الربوبية ، ولا ينكرون وجود الله ، بل يؤمنون به نظرياً ، ويمارسون بعض الشعائر التعبدية تمويهاً وتضليلاً ، على كثير من عوام المسلمين ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله .

نسأل الله عز وجل أن يرد المسلمين إليه مرداً جميلاً ، وأن يرجعوا إلى دينهم وعقيدتهم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

OBEIKAN.COM